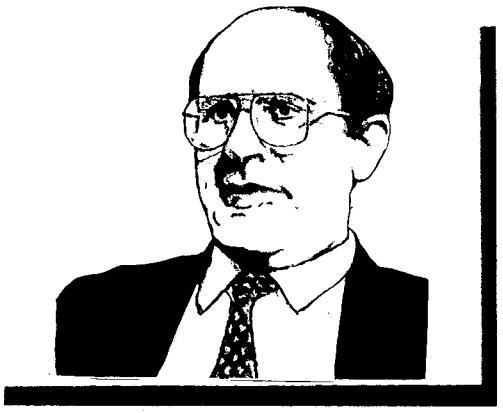

عز الدين المناصرة

لا أثقُ بطائر الوقواق

لا تُوقّع يا أبي
أوّلُ المقطع هنديٌّ سماويٌّ يُصلّي للمطرْ
أوّلُ الحبر كلامْ
آخرُ المقطع ترويجُ السموم
آخرُ الحبر دموعٌ وانتقامْ
لا تَقُلْ هذي خرابيشُ وَرَقْ
إنَّها مِقْصَلَةٌ...
من خشب الزيتون واليُسر وأعواد الكروم
فوق نَطْعٍ رائقٍ مثل الشَّفَقْ
لا تُوقعْ صَكَّ موتي
آخر المقطع تقسيمٌ لصوتي
لا توقّع يا أبي
هذا المدى فُرْسٌ وروم.
منذ أنْ كنتُ رضيعاً في الخلاءْ
هذه الأرضُ بساتيني وعُلّيقي
إحاصي وثماري ونجومي والغيومْ
ثُمَّ أجراسُ حنينِ النوق في حقل الرُّعاه

ربَّما من وَلَهِ العاشقِ نصطادُ الأغاني
كي نداوي بَحَّةَ الصمت المقيمْ
أو نعرّي سطح هذي الروح
في غربتها الزرقاء، أثناء الصلاه
كي تنادينا إذا شاءَتْ تراويد الشفاه
فلماذا طائر الوقواق مفتوناً يغنّي
فوق أجساد الشظايا المطمئنة؟!
يا أبي صاروا صدىً
ليس له طبلٌ وَرَنَّهْ
طائر الوقواق يحتلُّ تراباً من ذَهَبْ
وأنا صرتُ أناشيدَ لمريام
نقوشاً فوق كَفَّيْنْ وتطريزاً
على صدر الدُجنَّهْ
طائر الوقواق لصٌ في النّهار
يسرق التفّاح من أرواحنا، ثُمَّ الهواءْ
يا حليب اللوز في دارتنا
عِمْتَ مَسا

عندما يذكرني العابرُ يزداد نحيباً وأسى
لا توقّعْ يا أبي صَكَّ النّهاياتِ...
سَيَحْتَجُّ العنبْ
لا تُوقِّعْ يا أبي
قد يزعل التاريخ في كهف الرقيمْ
لا تُوقّعْ، إنّها أرضُ تميمٍ ونعيمْ.

* * *

قال في وصف الطريقْ
أيّها النّورسُ خُذْني للسماءْ
أيُّها الملح الذي صار بلون القار...
شوكاً في الحُلوقْ
أيّها الشمع الذي كان بياض الروح
يا جذري المُضاءْ
أيّها النجم الذي هَرَّبني نحو جسور الكبرياءْ
أيّها الوعد الذي ظلّ نشيداً في الزُّقاقْ
أيّها الصمت المُراقْ
يا ثلاثين سنه
في شبابيك بقايا الدور في قلب الحُطامْ
مثلما كنتُ... وما زلتُ أميرَ الاشتياق.
قال في وصف الطريقْ
بين مريام وقلبي
حَبْلُ مَصّيصٍ
مناديل من الورد وماءْ
نخلةٌ تنثرُ أطفالاً وقدّيسينَ
طَلْعاً ورحيقْ
فلماذا دربُ مريامَ حريق!!

* * *

يا كرومي
إنَّ قول الصحّ آفهْ
جذرُ عشتار علاماتٌ ورايّاتٌ من البفتِ
ونوقْ
غابةٌ من زنبقٍ يرعاك في الحوض العتيقْ
غابةُ الماء الذي ينسابُ فجراً
في عروق الشمس، يغتالُ النقيقْ
كم تمنّى عاشقٌ في غورِكِ الصافي العقيقْ
أنْ يغنّي لحمامات الرّموز
حاصر الوقواق طاقات الضياءْ
كيف يا ناشفةَ الرّوح من السُكْرِ أُفيقْ
حيث روحي مثل نعشي
حاصر الوقواق عُشّي.
دَرَجُ الروحِ اكتشافٌ وعذاباتٌ شَجِيَّه
ديركِ المزروع في التلّ المُبَجّلْ
كلّما أوغلتُ في هذي السفوح العسجديَّه
أشعلي هذي النُّذور
لا تمرّي
قرب صفصافات باب الجامعهْ
ستتوهين بدهليز القرنفلْ
احذري... وردكِ يذبلْ
يسرق الوقواقُ من آهاتنا الرَّعدَ المجلجلْ
والأغاني
الأغاني تترجَّلْ

* * *

يا كُرومي
نَشِفَ القاموسُ في دُكْنَةِ هذا الليل...
آخرُهُ طفلٌ لقيطْ
يا كرومي المؤمنه
ذلك الفجر سِخامْ
كنتُ طاردتُ هديل الأُغنيه
ثُمَّ طارتْ في هدير الشاحنه
لا ظريف الطولِ دواني
ولا جفرا
داواني
ولا جفرا
ولا نوح الحمامْ

عَشَّشَ الوقواقُ في تلك الأغاني المُزْمِنه.

* * *

قال في وصف العيونْ

عنبٌ من خُضْرَة البلّور والماء

نبيداً صار في قاع المخازنْ

صار عُشباً في السلاسلْ

بعد هذا

لَوَّن البحرُ تجاويف المحيطْ

بارزقاقٍ من وَرَسْ

ثُمَّ رنَّ الهاتف المربوط بالصحراء

فارتَجَّ الجَرَسْ

فأتت صاغرةً هذي القوافلْ

ثُمَّ جاءت في تقاطيع الفضاءْ

بحماماتٍ زواجلْ

قُمْنَ كَحَّلْنَ الليالي

فلماذا أيُّها الدربُ التعالي

لم أَشَأْ أن أتخلّى عن سماءٍ وتوابلْ

تلك يا غاليتي دربُ العيونْ

* * *

قلتُ للشّبّاكِ إنْ شئت الهواءْ

ضَعْ على صدركَ مُنْخُلْ

كي تَمُرَّ الفتنة الخضراء، تمشي

تتهادى

تترنَّحْ

قلتُ للشبّاك إنْ شئت من النخل الرُّطَبْ

افتح القلب لِعَصْفي وجحيمي سوف تربحْ

قال يا شاعر كنعان الذي

من طينة الشام ومنديل الموشَّحْ

إنْ تفوهتُ بعشقي

سوف أُذْبَحْ

ولهذا سوف أشكو مثل هنديٍّ خليليٍّ مُعفَّرْ

لعساليج العنبْ

ربّما تفهمني داليةٌ قربَ حَلَبْ

أو أرى ما لا يُرى.

* * *

جَنَّنَتْنِي

فتنةُ العنقود في هذا القَوامْ

قلتُ: لا يُشْبِهُها هذا الكلامْ

أوْ يساويها إذا شاءتْ أَحَدْ

في صفاء الماسِ والصحوِ الرفيعْ

قمتُ أوعزتُ لنارِ الأولياءْ

أنْ تغنّي لمقاطيع البَلَدْ

قرب ساح المهرجانْ

المواويلَ التي ــ زريابُ غنَّاها

على سطح الزمانْ

جَنَّنَتْني فاتنات العين في صمت البقيعْ

كحريق الأغنية

شَبَّ في الروحِ وساخَتْ

أرضُ عذرائي البَتولْ

كلّما سالتْ مآقيها تذكّرتُ الخليلْ

فأَشُمُّ الدّارَ، لو تُشبِهُها، ثُمَّ أقولْ:

لستُ إلاَّ حجراً في قاع هذا الأرخبيلْ

أرقبُ الفضَّةَ في الخصر النخيل

أو أَشُمُّ الزَّعْفَرانْ

قرب ساح المهرجانْ

* * *

لا تَقُلْ قد قَسَّموها يا أبي

فهي ضوءٌ أبديٌّ في المكانْ

وهي مفتاح سماوات القبولْ

يا عزيزي المستحيل

يقرأ الوقواقُ أسفار الرحيلْ

لا توقّعْ صَكَّ تشريح الجَسَدْ

لا توقّعْ يا أبي

لا توقّعْ لأَحَدْ.

عمان